مجلة الإحياء، المجلد: 20، العدد: 24، ماي 2020، ص - ص: 529 - 542
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

الاحتلال الفرنسي وأساليبه لهدم الهوية الجزائرية (الجذور والآثار)

The French Occupation and its Methods in Destroyingthe Algerian Identity: Roots and Relics

طالب دكتوراه بديس هامل
كلية العلوم الإسلامية- جامعة باتنة 1
مخبر العلوم الإسلامية في الجزائر
Dr.hbadis@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2019/11/30 تاريخ القبول: 2020/03/10

الملخص:
لا تختلف أساليب الاحتلال الفرنسي بين الأمس واليوم في هدم عناصر الهوية الجزائرية، مادام الهدف واحد، فما عجزت عنه فرنسا بالأمس بأنامل أبنائها تحاول جاهدة تنفيذه بأنامل أبناء الجزائر الموالين لها فكر وولاء. لكن فطنة أحفاد الشهداء الذين ضحوا بأنفسهم في سبيل إبطال مخططاتها، ستقف لها بالمرصاد وستولي الدبر.
فأساليب الماضي كانت مباشرة من نفي وتهجير وتنصير واستيطان واستيلاء على مراكز العبادة والتعليم وتحويلهما إلى كنائس وإسطبلات أما أساليب الحاضر فهي غير مباشرة تمحورت على هدم ومحاربة أركان الهوية من لغة وعقيدة وتاريخ مشترك للجزائريين الآمر الذي دفع ببعض الجزائريين لتغيير لسانهم ومحاولة ذم تاريخهم المشرف سواء الإسلامي إذ يعتبرون الفتح الإسلامي والخلافة العثمانية احتلال مما أدى ببعضهم إلى الانبهار التام بحضارة الغرب ومحاولة تقليدهم في أمور تهدم ولا تبني ولا يمكننا التصدي لهذه المحاولات التي غرستها فرنسا إبان احتلالها للجزائر إلا بإعداد جيل صحيح العقيدة سليم اللغة واعي بتاريخه المجيد
الكلمات المفتاحية: الهوية الوطنية، الاحتلال الفرنسي للجزائر، تاريخ الجزائر الحديث.

Abstract:

The methods of dismantling or demolishing the Algerian identity are no different between yesterday and today. As long as the targetis one, the plan of France which failed yester day with the

fingerprints of its predecessors is striving today to implement it with the hopes of the loyal sons of Algeria, who have thought and loyalty trying to implement it with the fingers of the sons of Algeria who had the thoughtfulness loyalty to France. Nevertheless, the perspicacity of the descendants of the martyrs, who sacrificed themselves in order to nullify their plans, will firmly counteract it.

The methods of the past were direct such as the denial, displacement, insidization, settlement, seizure of places of worship and education and their conversion to churches and stables. However, the present methods are indirect and have been based on the destruction and fighting of the elements of the identity such as language and Algerian common history. This prompted some Algerians to change their tongue and try to defame their honorable history Since they consider the Islamic conquest and the Ottoman succession an occupation. The fact that Some of them were fully presse and impressed by the Western civilization trying to negatively imitate them. Therefore, we can not counter these at tempts instilled by France during its occupation of Algeria, unless we prepare a new lyheal thy faith generation.

Key words: National Identity, the French occupation of Algeria, modern history of Algeria.

مقدمة:

إذ قمنا بمقارنة بين الاحتلال القديم والحديث وجدنا هدف جديد يضاف للاحتلال الحديث وهو هدم هوية البلد المحتل ومحاولة إدماجه جغرافيا وعقائديا. هذا الهدف ظهر في أجندات المحتلين الأوروبيين مع بداية الحروب الصليبية التي قادتها فرنسا ضد بلاد الإسلام وشعوبها.

لم تكن مسألة الهوية مطروحة قبل الاحتلال الفرنسي، سواء بعد الفتح الإسلامي للمغرب الأوسط أو أثناء الحكم العثماني للجزائر، إذ لم ترد في كتب المؤرخين وجود صراعات إثنية أو طائفية بين سكان المغرب الأوسط قديما والجزائر في العصر الحديث. حيث كان المؤرخون يسمون الجزائر ببلاد المغرب

الإسلامي، وما إن بدأت فرنسا احتلالها للجزائر ،حتى ظهرت عدة مصطلحات هجينة على المجتمع الجزائري آنذاك منها عنصر عربي،عنصر قبائلي، أمازيغ، بربر.

والأشكال الذي يطرح في هذه الدراسة :هل الصراع الذي نعيشه اليوم حول هوية الجزائريين له جذور في الماضي القريب وما هي أثاره اليوم وسوف اتبع في مقالي هذا المنهج التاريخي الذي يعتمد على أدوات السرد والتحليل والمقارنة والنقد، مشكلة الهوية أسالت حبر كثير من الكتاب والأكاديميين المعاصرين نظر لخطورتها على الوحدة الترابية للجزائر، وتهدف الدراسة إلى تبيان أهداف المحتل السابق للجزائر ومحاولة التصدي للآثار التي غرست جذورها في فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر.

فمقالي هذا يتناول دور المحتل الفرنسي وأساليبه في هدم الهوية قديما وحديثا وسوف أتناول مبحث مفاهيمي حول عناصر الهوية ثم الأساليب المستعملة إبان بدايات الاحتلال وبعد الاستقلال واختمها بخاتمة لأهم الدروس المستخلصة لتفادي هاته الأساليب الماكرة لتشتيت الوحدة الوطنية الجزائرية.

أولا: مبحث مفاهيمي

لعل أهم الكلمات المفتاحية في بحثنا هي كلمة الهوية وكلمة الاحتلال، أما كلمة الجزائر وفرنسا فموقعهما ومفهومهما الجغرافي والتاريخي معروف.

أ- مفهوم الاحتلال: مصطلح الاستعمار غير الاحتلال فالاستعمار مفهومه اللغوي هو التعمير أما الاحتلال فيقصد به إزاحة الأخر من المكان وتخريب ما أنجز وعمر. يقول الله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (هود: 61).

لغة: إنَّ كلمة الاحتلال، مأخوذةٌ في اللغة العربية، من الفعل احتلَّ. كما جاء في المعجم الوسيط :استيلاء دولة على بلاد دولة أخرى أو جزء منها قهراً[1].

احتلَّ / احتلَّ بـ يحتلّ، احْتَلِلْ / احْتَلَّ، احتلالاً فهو مُحتَلّ ، والمفعول مُحتَلّ احتلَّ المكانَ / احتلَّ بالمكان حلَّه، نزَل به: احتلَّت قضيَّةُ فلسطين مكانَ الصّدارة في الصَّحافة اليوميّة، احتلَّ منصبًا مهمًّا في الجهاز الإداريّ احتلَّ المستعمرُ بلدًا : اسْتولَى عليه قَهْرًا: احتلَّت إسرائيلُ معظمَ الأرض الفلسطينيّة، قام المُحْتَلُّ بتغيير هُويَّة المدينة، تصدَّى الفدائيّون لقوَّات الاحتلال.

احتلال اقتصاديّ : استيلاء دولة ما على موارد دولة أخرى بطريقة غير مشروعة، الأرض المُحْتَلَّة: فلسطين، جيوش الاحتلال / قُوّات الاحتلال: التي تحتّل بلادًا أخرى غير بلادهم، احتلال (مفرد): مصدر احتل، استيلاء دولة على أراضي دولة أخرى، أو جزء منها قهراً"[2].

فيمكننا تعريفه اصطلاحا بأنه سيطرةُ جيش دولةٍ مُعينة، على جميع أراضي دولةٍ أُخرى أو جزءٍ منها، خلال فترة غزوٍ أو حرب، أو بعد انتهاء تلك الحرب.

هذا هو الاحتلال العسكري، وقد تتنوع صور ووسائل الاحتلال :فمنها الاقتصادي حين يتعلق الأمر بالاستيلاء على موارد الدول الباطنة والظاهرة بطرق غير قانونية أو شرعية، ومنها الاحتلال الثقافي أو الغزو الثقافي المباشر والمصاحب للاحتلال العسكري، أو غير مباشر أي بعد جلاء الاحتلال العسكري.

ب- مفهوم الهوية:

لغة: مصطلح الهوية مشتق من "هُوَ"، ويعرفها الجرجاني في كتابه المعروف "التعريفات" بانها الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النَّواة على الشّجرة في الغيب المطلق[3].

وجاء تعريفها في معجم اللغة العربية المعاصرة أنهاحقيقةُ الشيءِ أَو الشخص التي تميزه عن غيره، إحساس الفرد بنفسه وفرديّته وحفاظه على تكامله وقيمته وسلوكيَّاته وأفكاره في مختلف المواقف"[4].

اصطلاحا: يعرفها معجم اللغة العربية المعاصرة بأنها "بطاقة يثبت فيها اسم الشخص وتاريخ ميلاده ومكان مولده وجنسيته وعمله وتسمى البطاقة الشخصية أيضا (يحمل بطاقة هوية، شخص مجهول الهوية)"[5].

ويذكر المفكر محمد عمارة تعريف الهوية: **(**أن هوية الشيء ثوابته التي لا تتجدد ولا تتغير، وتتجلي وتفصح عن ذاتها دون أن تخلي مكانتها لنقيضها طالما بقيت الذات علي قيد الحياة، فهي كالبصمة بالنسبة للإنسان يتميز بها عن غيره وتتجدد فاعليتها، ويتجلى وجهها كلما أزيلت من فوقها طوارئ الطمس، إنها الشفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها، والتي عن طريقها يتعرف عليه الآخرون باعتباره منتمياً لتلك الجماعة)[6].

مما سبق نجد أن الهوية هي تميز وتفرد شعب ما أو شعوب ما، يجمعهم التاريخ (الزمان) والجغرافيا (المكان)، اجتماعيا وقوميا وثقافيا عن شعوب أخرى لها مميزاتها وتفردها في نفس المكونات.

ثانيا: أساليب المحتل بدايات الاحتلال

أهم ما ميز أساليب المحتل الفرنسي لهدم الهوية الجزائرية في بديات الاحتلال: أنها تقليدية ومباشرة، ما جعلها واضحة للأهالي الذين تصدوا لها بكل الوسائل التي أتيحت لهم. فقوبلت مدارسهم ومستشفياتهم ومؤسساتهم التبشيرية بالرفض والمقاطعة.

أ- التهجير القسري والهجرة الطوعية: باشرت السلطات الفرنسية عقب احتلال الجزائر بجملة من الإجراءات والقوانين التعسفية ضد الجزائريين، دفعت نخبهم وعامتهم إلى الهجرة القسرية والطوعية داخل البلاد وخارجها.

وكان هدف الفرنسيين المضمر والجلي هو اقتلاع شجرة الإسلام والعروبة من أرض الجزائر واستعادة ولاية رومانية اختطفها الفاتحين حسب زعمهم، فعمدت إلى ضرب المراكز التعليمية للأهالي ووتقويض الكتاتيب، والتضييق على التعليم العربي الإسلامي فكانت الهجرة الطوعية رد فعل من بعض الجزائريين للنجاة بعقيدتهم وعقيدة أولادهم.

أما الذين ثبتوا واخذوا زمام المقاومة الثقافية من علماء ونخب فعمدت السلطات الفرنسية لنفيهم قسر وجورا.

ويذكر أبو القاسم سعد الله في كتاباته: أن بين 1830 وذالك التاريخ 1851 انقرض جيل كامل من العلماء والطلبة والوكلاء، انقرضوا أو تبددوا نتيجة الحروب المتواصلة، وتقطعت بهم السبل في المنافي والمهاجر، أفراداً وعائلات: ولنذكر من الأفراد العنابي والكبابطي والسكلاوي وحمدان خوجة، والقاضي عبد العزيز، وعائلة المشرفي وعائلة الأمير عبد القادر وعائلة ابن المرابط إلخ... وكثيرا من الأفراد والعائلات لم تهاجر من الوطن وإنما انتقلت إلى الأماكن التي لا يسيطر عليها الفرنسيون مثل عائلة ابن الحفاف، وابن رويلة، وأحمد البدوي والشريف الزهار وسيدي علي مبارك[7].

فكان هدف الفرنسيين لضرب الهوية الجزائرية هو اجتثاث النخب وإبعادهم بالنفي أو التهجير الطوعي.

ب- مصادرة الأوقاف: للجزائر مع الوقف تاريخ طويل يبدأ قبل الاحتلال ويمتد في عمق التاريخ الإسلامي تأصيل وتشريع وإنجازا، حتى صارت أحد دعائم المجتمع الإسلامي عموما والجزائري خصوصا على الصعيد الاجتماعي والتعليمي، توزعت على عدة أقسام منها: أوقاف الحرمين الشريفين وسبل الخيرات، وأوقاف الجامع الأعظم وبقية المساجد وأوقاف الأولياء والأشراف وأهل الأندلس والجند والنفقات والمرافق العامة.

نظرت سلطات الاحتلال الفرنسي في الجزائر إلى الوقف على أنه أحد المشاكل العويصة والقضايا الصعبة التي تحد من سياسية الاستعمار وتتنافس مع المبادئ الاقتصادية التي يقوم عليها، وذلك لكون الوقف كان في حد ذاته جهازا إداريا ووسيلة اقتصادية فعالة تحول دون المساس بالمقومات الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية للجزائريين، وهذا ما دفع قادة الجيش الفرنسي للعمل على مراقبة المؤسسات الدينية وتصفيتها والاستيلاء على الاحباس التابعة لها باعتبارها أحد العوائق التي كانت تحول دون تطور الاستعمار الفرنسي وتحول دون نجاحه وهذا ما دفع أحد الكتاب الفرنسيين إلى القول "بأن الأوقاف تتعارض والسياسة الاستعمارية وتتنافى مع المبادئ الاقتصادية التي يقوم عليها الوجود الاستعماري الفرنسي في الجزائر"[8].

لقد أدركت فرنسا من الأعوام الأولى للاحتلال إن بقائها في الجزائر مرهون ببقاء الأوقاف لذا صدرت عدة مراسيم لضمها إلى أملاك الدولة الفرنسية والغرض من ذلك هو التضييق على التعليم العربي الإسلامي ومن بعده التأثير على الهوية العربية الإسلامية للجزائريين.

ج- محاربة التعليم التقليدي وتهديد اللغة العربية: تتلخص أهداف هذه السياسة في القضاء على الثقافة الوطنية ونشر التعليم الفرنسي مكانها، وكان الغرض من هذا التعليم تحويل المجتمع الجزائري إلى خدمة مصالح المستعمر، ولهذا انتهجت السلطة الفرنسية سياسة الاندماج، وارتأت أن التعليم هو أحسن وسيلة لتحقيق تلك السياسة[9]، لكن الجزائريين كانوا يتمتعون بوعي كبير جعلهم يفهون القصد من وراء ذلك فقاموا بمقاطعة كل ما يأتي من المحتل الفرنسي من تعليم وصحة ولعل لسان حالهم هو ما قاله عبد الحميد بن باديس: لو لن فرنسا قالت لي قل لا إله إلا الله، لما قلتها.

د- التبشير بالمسيحية والتنصير: المحور الذي يتوسط الهوية الجزائرية هو الإسلام وعقيدة التوحيد، يشترك فيه من يرجع أصلهم إلى بني يعرب أو بني أمازيغ، لذا أرادت فرنسا ضرب هذا العمود الفقري للأمة الجزائرية عن طريق التبشير بالديانة المسيحية.

فكان التنصير بمثابة حركة دينية سياسية استدمارية تقوم بإعداد الخطط لتحويل المسلمين إلى مسيحيين عن طريق الأعمال الخيرية، أما التبشير وهو مصطلح في غير محله في نظرنا فكان بمثابة دعوى غير المسيحيين إلى الدخول اعتناق الديانة المسيحية.

إن الكنيسة قد غيرت أساليب سياستها التبشرية في القرن التاسع عشر نتيجة تجربة طويلة امتدت من نهاية الحروب الصليبية إلى القرن التاسع عشر، فأصبحت لا تدعو مباشرة إلى اعتناق المسيحية، وخاصة في المجتمع الإسلامي، ولا تهاجم الأديان الأخرى، ومن المعروف أن هذه السياسة القديمة قد تسببت لها في مشاكل معقدة، بل ركزت جهودها على ميدانين أساسيين: "الأعمال الخيرية" من إنشاء المستشفيات، ومأوي لليتامى والعجز، ورفع شعار "الطب في خدمة التبشير"، وإنشاء المدارس من جهة أخرى.

وهكذا عملت الكنيسة على تدعيم ثقافة المستعمر، ومحاولة طمس الثقافة الوطنية، أملة أن تصل عن طريق التسرب الفكري إلى التسرب العقائدي[10].

لقد كان المبشرين الفرنسيين يؤمنون بأن الجزائر هي نقطة الانطلاق التي ستتسرب منها حركة التبشير إلى إفريقيا كلها، كذلك إن نشر المسيحية ركن أساسي في البناء الاستعماري التي تنشده فرنسا.كذلك كانوا يعملون لإحياء الماضي المجيد للمسيحية والرومان كما يزعمون[11].

هـ-زرع الفتن بين العرب والأمازيغ: منطقة القبائل في الجزائر تعرف جغرافيا بصعوبة تضاريسها الجبلية وصعوبة التنقل بين الجبال الشاهقة والوديان، هذه النقطة تفطنت لها فرنسا واستغلتها أحسن الاستغلال وما نزال نتجرع آلامها وإرهاصاتها إلى يوم الناس هذا.

لقد رأت فرنسا إن من مصلحتها أن تعزل البربر وتعطيهم بعض الخصوصيات، وسعت إلى فرض نظام قضائي خاص بالبربر يقصى فيه التشريع الإسلامي لصالح الأعراف ولكن بإخضاعه علميا للقانون الفرنسي، ففرنسا لم

تبتدعها من العدم لكن وفرت لها الظروف السياسية لتوظيفها . وهدفها الحقيقي ضرب العرب بالأمازيغ والعكس[12].

ثالثا: أساليب فرنسا لهدم الهوية الجزائرية بعد 1962م

بعد الخامس من جويلية سنة 1962، تاريخ الاستقلال من المحتل الفرنسي، وبداية بناء الدولة الجزائرية المعاصرة ، فظهرت صراعات حادة بين قيادات الثورة ، و تأجج الصراع بين السياسيين والعسكريين وبين قيادة الداخل والخارج، انتهى باستيلاء جماعة وجدة على السلطة وتنصيب أحمد بن بلة رئيسا للجمهورية. ثم خلفه بومدين إثر ما سمي بالتصحيح الثوري، انتهى حكمه فيما بعد بموته واعتلاء الشاذلي بن جديد هرم السلطة في إطار توازنات الصراع بين دواليب الدولة العميقة. ثم تم الانقلاب على حكمه وعلى الشرعية البرلمانية سنة 1992، ودخول الجزائر في نفق العنف المتبادل، وبقي الصراع إلى أن جاء بوتفليقة وحكم الجزائريين لعقدين من الزمن.

وخلال هذه المرحلة عرفت الهوية شد وجذب بين فرنسا وأذنابها وبقية الجماهير الرافضة لأي مساس بعناصر الهوية

وكان لزاما على فرنسا المنهزمة ظاهريا ان تكمل خططها وأهدافها التي لم تتحقق باحتلال الجزائر،فعمدت إلى أساليب وطرق جديدة تتماشى وطبيعة المرحلة:

أ- الواقع التعليمي وأركان الهوية بعد الاستقلال: ما فشلت فيه فرنسا نسبيا إبان 132 سنة من الاحتلال، حاولت تداركه جزئيا من خلال العبث في مناهج التعليم عن طريق ثلاث محاور مهمة في تنشئة الأجيال: اللغة العقيدة والتاريخ.

والهدف من استهداف هذه المحاور ومن يدرسها ،كونها تحيي في نفوس المسلمين عموما والجزائريين خصوصا تاريخ اجدادهم المجيد وتذكرهم بقدرتهم على صنع النهضة والحضارة كما صنعها أجدادهم، وتبنى هذه الأهداف أيضا النظام العالمي الجديد وذلك في إطار حربه على الإسلام.

اللغة: تعرضت اللغة العربية لضغوطات كبيرة في فترة ما بعد الاستقلال إلى يوم الناس هذا بين مد وجزر، بين شد وبسط ،تارة تتراجع وتارة تمتد وهذا

بسبب المخلصين أمثال المفكر الجزائري مولود قاسم نايت بلقاسم والوزير على بن محمد و عبد الرحمان شيبان وغيرهم من المخلصين الأوفياء.

لكن الصراع على اللغة وآدابها اشتد أكثر في مرحلة بوتفليقة ووزيرته بن غبريط ومن سبقها وأيضا على يد وزيره الأول أويحي، إذ يذكر الدكتور عثمان سعدي في تقريره على لسان الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية أن الوزيرة تعمل لإعادة المدرسة إلى ما قبل 1954، أي إلى المدرسة الكولونيالية، حيث تسود اللغة الفرنسية على حساب العربية لغة البلاد والعباد، ومن خلال تعليم العلوم في المرحلة الثانوية تمهيدا لجعله يشمل المتوسط مسبقا، كذلك الإشراف المباشر لخبراء فرنسيين تربويين على عمليات التكوين، ويذكر كذلك أن الوزيرة دعت إلى استخدام العامية مكان العربية الفصحى ولكنها تراجعت تحت رد فعل الجماهير[13].

العقيدة: من الطبيعي على أي دولة في العالم المتحضر اليوم تحترم نفسها وتحترم شعبها أن تسوغ منهاج تربوية تحافظ على عقيدة غالبية سكانها، لكن عندما نجد العكس فهناك خلل ما،إما في الشعب وهذا مستبعد وأما في النظام الذي يسير تلك الدول وهذا كيد.

ما حدث في الجزائر اتجاه تدريس التربية الإسلامية وجدلية إدراجها في امتحان البكالوريا أو عدمه ومن قبله إلغاء تخصص العلوم الشرعية من مرحلة الثانوي والتضييق على كليات العلوم الإسلامية التي تعد على أصابع اليد الواحدة في بلاد بحجم قارة. إنما هو اكبر دليل على قيام الجهات الوصية ومن ورائهم فرنسا والنظام العالمي الجديد على التضييق على تعليم تعاليم الإسلام للنشء من عقائد ومعاملات وأخلاق والأكثر من ذلك تعدى الأمر إلى التضييق على التعليم القرآني ووصفه بضعف مستوى طلبته وحذف البسملة وأحاديث الجهاد، وتمييع دور الزوايا وجعلها تنشر الفكر القبوري فهم يريدون نشر الإسلام الطرقي ومحاربة كل عقيدة تدعو إلى البناء والتشييد والأمانة وغيرها من الأخلاق الحسنة.

وتلك هي أهداف الاحتلال القديم، قام بعصرنتها وتطبيقها عن بعد وبدون أي تكلفة وبأيدي أبناء الوطن الواحد.

التاريخ: يعتبر التاريخ إحدى الركائز الأساسية لهوية الشعوب، والجزائر يمتد تاريخها ضمن بعدين أثنين البعد العربي والبعد الامازيغي تحت غطاء شريعة

الإسلام، ولقد حاولت فرنسا أثناء احتلالها للجزائر اجتثاث البعد العربي الإسلامي من التاريخ الجزائري بشتى الأساليب والخطط، لكنها لم تفلح. لكن المعركة حول اللغة والتاريخ والهوية في الجزائر بعد الاستقلال لم تخفت قط وكانت دائما حاضرة.

ومن بين أشكال تحريف تاريخ الجزائر القديم والحديث الترويج بأن الخلافة العثمانية في الجزائر تعتبر احتلال من بدايتها لنهايتها، والأدهى من ذلك إن الفتح الإسلامي هو بمثابة استعمار بمفهومه الحديث، وهذا ما صرحت به الناشطة السياسية لويزة حنون في 20 ابريل 2019 حيث نشرت فيديو لها على صفحة حزب العمال الذي تترأسه بأن الشعب الجزائري لا ينتمي الى ما يسمى بالأمة العربية حسب تعبيرها.

إن التضييق الزمني على مادتي الشريعة والتاريخ في مناهج التربية والتعليم للأطوار الثلاثة، إنما هو وجه فاضح للحرب القائمة على هوية هذا الشعب الذي يأبى إلا أن يكون جزائريا مسلم أجداده أمازيغ وعرب وأصهاره عرب وامازيغ وأولاده خليط بين العرب والامازيغ جمعتهم يد الله على مدار أربعة عشرة قرنا من الزمن.

ب- إحياء القوميات والإقليميات والعنصريات: كتب الشيخ عبد الحميد بن باديس في مقال له في جريدة البصائر تحت عنوان "ما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان" وكأنه يستشرف المستقبل ويرى خطط فرنسا المستقبلية اتجاه الجزائر. حيث يذكر أن أبناء يعرب وأبناء امازيغ جمع بينهم الإسلام قبل أربع عشرة قرنا تحت راية الإسلام ودين الحق.وكيف توحدوا في السراء والضراء، حتى كونت منهم عنصر جزائريا مسلم ولائه إلى الله ورسوله، أمه الجزائر وأبوه الإسلام، والآن جعلت فرنسا خصوصا والغرب عموما نصب هدفها على إحياء هذه العصبية.

فالهوية حتما سوف تضيع إذ وجدت مناخ متعفن يحيط بأبناء الوطن الواحد تسوده دعاوى الجاهلية وهي الطائفية. لهذا انتهج الاستعمار قديما وحديثا سياسة فرق تسد.

ولقد حذرنا رسول الله عليه الصلاة والسلام حين حدث شجار بين أنصاري ومهاجر، فتنادى البعض: يا للأنصار، وتنادى آخرون: يا للمهاجرين، فذم النبي

صلى الله عليه وسلم ذلك وجعله من دعوى الجاهلية، حيث قال رسول الله فيما يرويه عنه البخاري "عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كُنَّا فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: "مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَعَ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنْ الْأَنصار، َقَالَ: "دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ"[14].

لذا وجب علينا أن نترك هذه النعرات وراءنا، إذا أردنا الانطلاق الحضاري لبلدنا وامتنا.

ج- الانبهار بحضارة المستعمر وتنشئة الأجيال على حب الغرب: جبل الإنسان على حب الخير، وحب كل جميل لكن أن يكون هذا الحب والانبهار دون تمييز، فتلك هي الهالكة، صحيح أن المدنية الغربية قدمت الكثير للإنسانية في مجال التقنية والعلوم لكن في مجال الأخلاق والتكافل والترابط الاجتماعي جانبت الصواب، فللغرب نمط ثقافة وهوية ولنا نمطنا الخاص.

الأمر الذي سهَّلَ للغزو الثقافي لمجتمعاتنا مهمةَ التشكيك في قدراتها الذاتية الكامنة على النهوض، وبناء حضارتها العصرية، وشجع النخب المحلية فيها على الجري وراء الغرب، وتقليده بشكل أعمى، باستعارة نظم الحياة عندهم، واستنساخ نمط سلوكياتهم، حتى ولو لم تكن متوافقة مع خصوصيات تلك البلدان[15].

وإن كان هذا الانبهار مسارا مخطط له لإفراغ الأمة من طاقاتها وشبابها، الشيء الذي يتوجب علينا هو تبيان حقيقة هذا السراب للناشئة وربطهم بتاريخهم وثقافة أجدادهم الفاتحين لمدن العالم يوم كانت أوروبا تعيش سنوات ظلامها الدامس.

خاتمة

يذكر العلامة عبد الحميد ابن باديس في احد مقالاته بأن أبناء يعرب وأبناء أمازيغ جمعهم الإسلام تحت راية واحدة طيلة أربع عشرة قرن خلت ويعقب قائلا أن ما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان. فالوحدة التي دامت قرون ستبقى شامخة صامدة أمام كل أنواع التغريب والتهديم الذي تتعرض له هوية الجزائريين الوطنية ضمن أبعادها الثلاثة الإسلام والعروبة والامازيغية.

من بين أهم الدروس والحلول التي يجب علينا استخلاصها من هذه الأساليب، وجعلها كصمام أمان لوطننا ووحدتنا وهويتنا هي:

1- إعادة صياغة المناهج التربوية والتعليمية بما يتناسب وهويتنا وتاريخنا وثقافتنا.
2- إيجاد إعلام هادف وخاصة فيما يخص الإعلام الوجه للطفل.
3- تعرية الثقافة الفرنكو غربية وكشف زيفها.
4- إعادة الاعتبار للغة العربية .
5- إنشاء المراكز العلمية لدراسة التراث.
6- إبراز معالم الحضارة العربية والإسلامية في الجزائر.
7- إعداد جيل متشبع بقيمه الوطنية والدينية.
8- نبذ الفرقة والعصبية ومحاربة دعاتها.
9- إعطاء مواد التاريخ واللغات الوطنية والتربية الإسلامية أهمية، وتحفيز من يدرسهم.

المصادر والمراجع

الكتب:

1- الأستاذ أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد الأول، القاهرة، ط 1، عالم الكتب، 2008.
2- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3.
3- مجمع اللغة العربية (مجموعة من المؤلفين)، المعجم الوسيط، دار الدعوة، نسخة الكترونية.
4- العلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، معجم التعريفات، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، رقم المصطلح 2008.

المقالات:

1- د. ايفون تورين تقديم الشيخ، مقال المجابهات الثقافية في الجزائر المستعمرة 1830-1880، مجلة الأصالة، العدد السادس.
2- الحبيب الجنحاني، حركة التبشير والسياسة الاستعمارية الفرنسية في المغرب العربي في القرن 19، مجلة الأصالة، العدد الثامن (تونس).
3- محمد عمارة، مخاطر العولمة علي الهوية الثقافية.

4- د. عثمان سعدي ،الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية تدعو الى التجنيد منقول من: تصفحت الموقع يوم 21 افريل 2019 على الساعة 22:03 مساء، بتصرف.

https://aggouni.blogspot.com/2016/04/blog-post_138.html

5- عبد النور بن عنتر، فرنسا والمسألة الأمازيغية، بتصرف، مقتبس من موقع:
https://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/a2800e25-1cf1-4f96-8507-6e978d585e35?fbclid=iwar3bpgy2evm3jet2os2s1a6gbeh6s9niq5mx6kg nzfjqfz8dtgi

6- نايف عبوش، الغزو الثقافي ومخاطر مسخ الهوية من موقع: تصفحت الموقع يوم 2017/11/20 على الساعة 22:21 ليلا.
http://www.alukah.net/culture/0/63328

الهوامش:

[1]- مجمع اللغة العربية (مجموعة من المؤلفين)، المعجم الوسيط، دار الدعوة، ص194، نسخة الكترونية.

[2]- الأستاذ أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد الأول، القاهرة، ط 1، عالم الكتب 2008، ص 548-549.

[3]- العلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، معجم التعريفات، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، رقم المصطلح، 2008، ص 216.

[4]- الأستاذ أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط 1، المجلد الثالث، القاهرة، عالم الكتب، 2008، ص 2372.

[5]- الأستاذ أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط 1، المجلد الثالث، القاهرة، عالم الكتب، 2008، ص 2372.

[6]- محمد عمارة ،مخاطر العولمة علي الهوية الثقافية، ص6.

[7]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، ص58.

[8]- دون مؤلف، الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي، مجلة الأصالة، العدد 89-90، الجزائر، 1981، ص100، قدم في مؤتمر سيلا تاريخ الحضارة العربية الإسلامية بجامعة دمشق في شهر افريل 1981م.

[9]- الدكتورة ايفون تورين تقديم الشيخ، مقال المجابهات الثقافية في الجزائر المستعمرة 1830-1880، مجلة الأصالة، العدد السادس، ص 72-73.

[10]- الحبيب الجنحاني، حركة التبشير والسياسة الاستعمارية الفرنسية في المغرب العربي في القرن 19، مجلة الأصالة، العدد الثامن (تونس)، ص 27.

[11]- المرجع السابق، ص29.

[12]- عبد النور بن عنتر، فرنسا والمسألة الأمازيغية، بتصرف، مقتبس من موقع:
https://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/a2800e25-1cf1-4f96-8507-6e978d585e35?fbclid=iwar3bpgy2evm3jet2os2s1a6gbeh6s9niq5mx6kgnzfjqfz8dtgi
تصفحت الموقع يوم 15 افريل 2019 على الساعة 22:34.

[13]- د.عثمان سعدي، الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية تدعو الى التجنيد منقول من:
تصفحت الموقع يوم 21 افريل 2019 على الساعة 22:03 مساء، بتصرف.
https://aggouni.blogspot.com/2016/04/blog-post_138.html

[14]- رواه البخاري في صحيحة، رقم:4905.

[15]- نايف عبوش، الغزو الثقافي ومخاطر مسخ الهوية من موقع: تصفحت الموقع يوم 2017/11/20 على الساعة 22:21 ليلا.
http://www.alukah.net/culture/0/63328/